

أقسام الإسرائيليات

..... وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم: يشهد القرآن والسنة بصدقه وبوقوعه، فهذا يقبل ولكن يستغنى عنه بالأدلة الثابتة التي هي الأحاديث والآيات. والقسم الثاني: يشهد كتابنا وسنة نبينا بأنه كذب، فهذا باطل لا يجوز قبوله ولا يجوز تصديقه، وقسم: ليس في الكتاب والسنة دلالة على أحقيته فهذا هو الذي لا يصدق ولا يكذب. ورد أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: { إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: أمانا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم } وَإِلَهُنَّ وَإِلَهُكُمْ وَاجِدُ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } { أي لا تصدقوهم فقد يكون كذبا، فتصدقون بما هو كذب معروف أنه كذب، وقد تكذبوهم فيكون صدقا وحقا فتكذبون بالحق، ولكن توقفوا في ذلك. ومع ذلك فإن كثيرا من القصص الإسرائيلية إذا سمعها أدنى عاقل يعرف أنها خيالية، مثل هذه القصص التي سمعنا في قصة ذي القرنين فالأصل أنها قصص نسيج عقل ونسيج فكر، فيجزم بأنها ليست حقيقية، ولكن المؤلف الذي هو أبو الشيخ الأصبهاني رواها بأسانيد المتصلة إلى من قالها، وتكون العهدة على من اختلقها أو كذبها، ويقول: هذا مرجعي فيها وهؤلاء الذين نقلوها. المحقق الذي حقق هذه الرسالة قد بين أيضا من روى هذه القصص؛ لأنها لا بد أن تكون مروية في كتب التفسير التي تتوسع في ذكر الإسرائيليات ونحوها؛ كتفسير ابن جرير وتفسير الثعلبي والثعلبي دین وعالم، ولكن ليس عنده تمييز بالأحاديث فيسمونه "حاطب ليل"؛ بمعنى أنه يجمع ما وجده وبأخذه دون تمييز بين ما صح وما لم يصح، وله أيضا كتاب مطبوع اسمه "قصص الأنبياء" للثعلبي مطول كثيرا، وله أيضا "عرائس المجالس" مطبوع أيضا، وفيه أيضا كثير من هذه القصص التي يعرف بأدنى تأمل أنه لا أصل لها. نحن نعرف أن ذا القرنين قص الله علينا خبره، ولكن ما ذكر لنا أنه نبي ولا ملك، ولكن يظهر أنه نبي؛ وذلك لأن الله تعالى أنزل عليه أو خاطبه بقوله تعالى: { قُلْنَا يَا دَا الْقَرْيَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَدِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تُتَّجَدَ فِيهِمْ حُسْبًا } وأنه أجاب بقوله: { أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا } هذا مما يُستدل به على أنه نزل عليه الوحي فيكون نبيا من الأنبياء؛ إما من أنبياء بني إسرائيل وإما من الأنبياء غيرهم، وأن من خصائصه أن الله تعالى أعطاه هذه القدرة وهذه القوة وهذه المواصلة حتى سار إلى هذه الأماكن، فسار إلى أن وصل مغرب الشمس وجدها تغرب في تلك العين الحمئة أو الحامية. ثم بعد ذلك رجع وسار حتى بلغ مطلع الشمس { وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا } وجدها كما ذكر أنها تطلع على قوم ليس بينهم وبينها ستر، يقولون: إنهم لم يكونوا في أبنية ليس عندهم أبنية يكتنون بها، إذا طلعت عليهم الشمس يتسترون من حر الشمس، وكذلك أيضا ليس عندهم أكسية تقيهم من وهج الشمس وحرها، وما ذكر من أنها إذا طلعت عليهم ينغمسون في ذلك الماء، أو يدخلون في تلك العروش أو المساكن، يمكن أن يكون هذا صحيحا أخذا من ظاهر هذه الآية، والله أعلم بالصواب.